غفران الامير

مأساة نثرية ذات اربعة فصول يتخللها شعر قديم

بقلم

مدير مدرسة الظاهرة للسريان الكاثوليك في الموصل القس حنا رحماني

هذه رواية تاريخية ادبيّة جرت نحو العام ٤٩١ بعد المسيح في الحيرة وذلك على اثر كسرة النعمان ملك غسّان واسراسه عليهم ملك الحيرة الاسود بن المنذر واتى بهم اسرى الى قصره. وكان للاسود ابن عم اسمهُ ابو اذينة فقام يثري الاسود على قتل مولاه الاسرى وخصوصاً النعمان لان هذا كان قد قتل اخاً له

والقصيدة التي قالها ابو اذينة بهذا الخصوص شهيرة تُعَدّ من ابلغ آثار الخطب الحماسية التي خلفها لنا العرب قبل الاسلام وهذا مطلعها :

ما كلّ يوم ينالُ المرء ما طلبا ولا يسوّغه المقدار ما وهبا . . .

وقد اضيفت الى الحادث الاصلي بعض المرويّات تحسيناً للرواية دون ان تخرج به عن حدود الامكان وان لم تذكره الكتبة من ذلك حيلٌ استنبطها ابو اذينة لقتل النعمان وفرضُ ابن للنعمان يخلفهُ بعده عند الاسود ثم يغدر لقاتل ابيه عند قبره

ثم اننا اعتماداً على ما للمؤلف من الحقوق على تقديم وتأخير ازمنة اشخاصه ادرجنا في الرواية دورًا للشاعر الشهير النابغة الذبياني . وقد كان لهُ علاقات مع ملوك غسّان اذ التجأ بهم يوم نقم عليهم كسرى ملك العجم

ويتخلل الرواية كثير من الشعر الجاهلي القديم وشيءٌ من الشعر الحديث تصرّفنا ببعض ابياتها وفقاً لمواقف الرواية

الممثلون

الاسود بن المنذر	ملك الحيرة	النعمان	ملك الشام الغسّاني
مُنير	ابنهُ الاكبر	جليل	ابنه
المنذر	ابنهُ الاصغر	النابغة الذبياني	الشاعر الشهير
ثعلبة (ابو اذينة)	ابن عمه ووزيره	تبّع	ملك حمير حالف النعمان
كليب	خادم ثعلبة وصاحب سرّه		

سيّاف — مغنٍّ — خادم — اعوان

كل الرواية تجري في ساحة امام قصر الاسود

الفصل الاول

المقدمة

المشهد الاول

الاسود وثعلبة

ثعلبة ما كلُّ يومٍ ينالُ المرءُ ما طلبا ولا يسوّغهُ المقدارُ ما وهبا
واحزمُ الناس مَنْ إن فرصةٌ عرضتْ لم يجعل السبب الموصولَ منقضبا
قتلتَ عمرًا وتستبقي لزيدٍ لقد رايتَ رأياً يجرُّ الويلَ والحربا

لقد قلنا ايها الملك الجليل يوم رجعتَ من كسرة آل غسّان: ضربهم ضربةً قاضية. على ان توانيك في قتل اميرهم وعُمدتهم النعمانَ اوقعنا في حيرة عظيمة . . . قتلت سلفهُ الحارث فعليك الآن بالنعمان وامرائهِ

الاسود اتظن يا ابن العم ان ابطائي عن قتل من أسرتُهم من آل غسان هو عجزٌ او رَهبٌ

ثعلبة فايُّ شيء اذًا هو ؟

الاسود منذ وطيءَ النعمان داري ورايت ما حلَّ بهِ من الذل رقَّ قلبي لكسرة قلبهِ وزال عني ما كان فيَّ من البُغض لهُ ولآل غسّان

ثعلبة ومن يقول لك انه لا يرتدي بظواهر التذلُّل مراءً رجاء ان تطلق سبيلهُ فيرجع عليك بما لست لهُ كفوءًا من كتائب كثيفة وجنودٍ مجندة
هُمُ اهلُهُ غسّانٍ ومجدُهُمُ عالٍ فان حاولوا مُلكاً فلا عجبا

الاسود حديث خرافةٍ يا ابا اذينة . . . أقلَّ من نهضةٍ لآل غسان بعد هذه الكبوة. فقد كسرتُ جناح طائر سعدهم

ثعلبة الحذر كل الحذر ايها الملك من نهضةٍ مُريعة بعد كسرتهم هذه فان ما نعهدهُ

في آل غسان من الحقد والضغينة انما هو كالجمرة تحت الرماد
وانَّ الضغنَ بعدَ الضغن يفشو عليك ويُخرج الداء الدفينا
فان لم تُبدهم عن بَكرَة ابيهم لا يقرُّ لهم قرار قبل اخذهم بثاو من قتلناهم من بني جلدتهم ... وانت تعلم بلاءهم في الحروب

الاسود وانّى يتسنّى لهم ذلك بعد ان اكون قد ثقَّلتُ عاتقهم بفديةٍ يرزحون تحت عبئها . ومخراج يودّونه لي كل سنةٍ في أوانهِ

ثعلبة (بتهكم) اجل بفديةٍ من خيلٍ وإبل
أيحلبون دماً منا ونحلبهم رسلاً لقد شرّفونا في الورى حَلَبا
علامَ تقبلُ منهم فديةً وهُمُ لا فضةً قبلوا منّا ولا ذهبا

اتذكر وقعتنا الاخيرة يوم اسروا منا مئة رجل فقتلوهم رافضين ما قدّمنا لهم من الفدية . اتذكر يوم اسروا ابن عمك هماماً اخي فتكروا به فلم تصدّهم غضاضةُ شبابه ولم يردّهم عنهُ انتسابهُ اليك انت الملك

فليس يظلمهم من راح يضربهم بحدّ سيفٍ به من قبلهم ضُربا

الاسود ان تأثرك يا ثعلبة من قتل اخيك هُمام يدفعك على اغرائي بهم . على ان الملوك لعلوّ مقامهم تمتدُّ انظارهم الى بُعدٍ . ويرون الاشياء احياناً على خلاف ما تراها الرعية ... أو نسيتَ ايضاً انَّ بني غسّان في تلك الموقعة عينها التي ذكرتها اسروا ابني نُميرًا فلم يُلحقوا به اذًى . بل ارسلوه اليَّ سالماً (يخرج)

المشهد الثاني

ثعلبة وحده

ثعلبة (ينظر من حيث خرج الاسود) اذهب يا ابن المنذر لقد وجدت جواباً على كل ما قلته لك . ولكن هيهات ان اقنع بقولك هيهات ان اكفَّ عن طلب ثاري باخي . فلعمري لا انفكُّ ولا اصمت حتى يكون لكلامي وقعٌ ولمساعي اجراء ... ان بغض آل غسان تغلي مراجلهُ في قلبي بل هو كالنيران يزداد لهيباتأُججاً كلما ذكرتُ اليوم الذي به قصدتهم فرجعت بخفّي حنين ... كادت الحرب تنشب قبل ثلاث سنين بيننا وبينهم فتخوّف الاسود من عاقبتها الوخيمة

فبعثني اتجسّس احوالهم واتلطّف بهم علّهم يكفّون عن محاربتنا . فلما اطلعتُ على باسهم وبطشهم وعرفت ما سيصيبنا من الفشل طغاني شيطان الطمع وحبُّ الرفعة فعرضتُ على النعمان ان افتح له ابواب الحيرة فيدخلها ظافراً على شرط ان يجعلني وزيراً عنده . فبادرني بالتوبيخ وذمّني على خيانتي وطردني ... فشرفُ نفسهُ وانفتهُ هما المتيان لبغضي ... فاستعرت نار الحرب ودارت الدوائر على دولة الغساذرة وذهب اخي هماء ضحية تلك الحرب المشئومة . وها قد اعاضنا الله في هذه الحرب الجديدة بالظفر فلا بُدّ لي من شفاء غليلي لانتقم من ملك غسّان .. (يتحسّس) وليس اعتمادي في تحقيق نيتي على اسرّ طويل ولا على ابيضّ اصيل . انا الدهاء ومحي والمكر سيفي بهما ابلغ مأربي ... (يدعو خادمه) يا كليب

المشهد الثالث

ثعلبة وكليب

كليب سيدي

ثعلبة اكرّر عليك ما اوصيتُك به مراراً أن : لازم بني غسّان بالتخثّل والمداهنة . ولا يفوتنك شيء ممّا يحدث في هذا القصر . كن أذُناً صاغية وعيناً ساهرة وانقل اليّ كل شيء بامانة . فان نصحتَ لي الخدمة كان جزاؤك ما لم يخطر لك على بال والّا ... (حركة تهديد)

كليب انا طوع بنانك يا سيدي (على حدة) على شرط ان يصدق سيدي بوعده

ثعلبة حسن (ينظر الى الخارج) ها ان نُميراً مقبل فاذهب الى مهمّتك

المشهد الرابع

ثعلبة ونُمير

ثعلبة (يتفرّس في نمير) ما بالك يا نُمير كئيباً ؟ ما الذي جرى ؟

نمير جرى ما يُسرُّ منه ثعلبة

ثعلبة ان ثعلبة يُسَرُّ بكل ما يَسرُّ غيرًا . فما الخبر ؟

غير انَّ ابي الاسود اسمعني الآن عن النعمان الغسَّاني اقوالًا يُستشفُّ منها انهُ قد قَلَب لهم ظهر المِجنّ . بعد ان كان وعدني باطلاق سبيلهم . ولا شكّ انك انت المسبب لهذا

ثعلبة (على حدة) اذًا صار لكلامي وقعٌ . اما هنا فلنُخاتل . (جهرًا) وما الذي ادّى بك الى ان ترشقني بهذه التهمة ؟

غير بُغضك المعروف لآل غسّان

ثعلبة ان آل غسان اعداء ملكنا ابيك الاسود فمن يبغضهم كان خادماً نصوحاً للوطن . . . على انّي — وهنا اقرُّ لك بأغمض مكنونات صدري — على اني منذ رايتُ النعمان ملك الشام تعلّق به قلبي فانزلتهُ منزل الروح مني

غير اني لاعجب من مقالك

ثعلبة ما هو الّا كما قلتُ لك

غير ولكنَّ النعمان قتل اخاك

ثعلبة نعم . وهذا كان سبب بُغضي لبني غسّان . على اني لمّا عرفتُهم ورايت عزّة نفسهم نسيتُ اخي وذكرتُ يوم أُسرتَ انت عندهم فردّوكَ الينا سالماً

غير وهذا ما علّقني بهم ايضاً . وايم الحق ان ما تُكنُّهُ صدورهم من حسن الاخلاق والسجايا حملني على الرثاء لحالهم عند كبرتهم

ثعلبة اني رهين اشارتك لو شئت ان اسعى معك في فكّ اغلالهم وتحرير رقابهم

غير هذا الامر راجع الى حكم ابي الملك . (هنا يتطلّع الى الباب)

ثعلبة (وحده) قد كلف غير ببني غسّان ولكن سافرق بينه وبينهم عمّا قليل ان كنت انا ثعلبة (يخرج)

المشهد الخامس

غير . جليل . المنذر

المنذر أانت هنا يا غير ؟ اني جادٌّ في طلبك منذ الصباح

غير ولِمَ طلبتني يا اخي المُنذر ؟ هل جليل بن النعمان مصرٌّ بعد على حزنه ؟

المنذر لهذا اتيتُ به اليك . فانهُ يرفض كل تعزية وقد ذهبت اتعابي كلها سدًى لاقناعه

جليل كان الفرح طائرًا حطَّ على غصن قلبي مدَّةً ثم طار وهيهات ان يرجع . فمنذ سقطت اسرتي في هذه النكبة اصبح الحزن حليفي وعشَّش غراب الكآبة في قلبي

نير انت حديثُ السن يا جليل وامامك حياةٌ سعيدة تبسمُ لك كوردة نضرة فانسَ المصيبة الحاضرة وعلِّق آمالك على مستقبل شهي

جليل كيف انسى وابي نُصبَ عينيَّ اسيرٌ في داركم . سقط من ذروة المجد الى اسفل دركات الذلّ

المنذر ما هذا الكلام يا جليل . وهل مسَّ احد اباك بأذًى منذ دخل دارنا ؟ ان ابي يعزُّه ويكرم مثواه ولا يكاد يمدّه اسيرًا

جليل يكفينا عارًا انكم كسرتونا وقتلتم منا اناسًا صالحين كانوا اشرف آل غسان ومنهم عمّي جبلة . . . (يتأثر) وا أسفي عليك يا عمّاه . يا عمدة أسرتنا (يبكي)

نير لا تبكِ يا جليل . فهذه حال الحرب . انها تلوح كالبرق ثم تكلح البصر يرتفع اجيجها ويملو لهيبها فتفتك فتك بهيمة لا تلوي ولا تذر

المنذر تبًّا للحروب وتبًّا لما تُنتج من ضروب الشرور . فأستشهد الله انهُ اذا صار اليَّ الامر سأبطل كل الحروب

نير اليكَ يا جليل خبرًا يخفف شيئًا من همومك . سمعتُ البارحة من ابي انهُ قرر اطلاق آل غسان من اسرهم . فأبشر الآن فان شاء الله عما قليل ترجع الى الشام ويرجع ابوك الى مقامه

المنذر يا حبذا البشرى ! . . . الي لا اراك تبتشُّ لها يا جليل . فهل ترتاب في قول اخي ؟

جليل لا . . . ولكن . . . على كل حال حقَّق الله هذا الخبر

نير ها انا ماضٍ يا جليل لأبحث ابي على تحقيق امانيك في اقرب ما يكون فاترككما مع المنذر عساهُ يلطّف احزانك ويكشف عن كربتك

المشهد السادس

المنذر وجليل

المنذر الا يا جليل لِمَ هذه الكآبة المفرطة وانت على يقين اننا لا نُلحق بابيكَ أذًى . . . اراكَ كاسفَ اللون وقد كنت كالبدر في تمامهِ اول يوم وطئت دارنا

جليل هذه حالةُ الكسير الاسير

المنذر كلامك هذا يا جليل يمزّق كبدي ويملأني حنقاً على غدْر الدهر وفتكهِ بالافاضل الكرام مثلكم . . . ولكن ما صار قد صار . . . لِمَ لا نضرب صفحاً عن الماضي لاسيما اني انا لا حصّة لي في مواقعة غسّان . لتترك العداوة لابي وابيك . امّا نحن فاذ لم نتحارب ولم نتعادَ فلا نُذكرنّ منذ الآن بيننا ما يدلّ على انتصارنا او على كسرتكم . . . اتعاهدني على هذا يا جليل ؟

جليل يشقّ عليَّ يا منذر نسيان ما فات . فاني وان كنتُ فتّى فقلبي قلبُ رجل والرجل لا ينسى سريعاً عار كسرةٍ لحقت باهله . . . آه ! لِمَ لا تنشب الحربُ اليوم فانزل مع الابطال واهجم مع الفرسان في ميدان الوغى فاحظ بانتصار باهر ذكرَ كسرتنا او اغسل بدمي عارنا

احنُّ الى ضربِ السيوفِ البتواضبِ ... واصبو الى طعن الرماح الكواعبِ
واشتاقُ كاساتِ المتونِ اذا صفت ... ودارت على رأسي سهامُ المصائبِ
ويسطربني والخيل تعثر بالقنا ... هُداةُ المنايا وارتهاجُ المواكبِ
وضربٌ وطعنٌ تحتَ ظلّ عجاجة ... كجنح الدجى من وقع ايدي السلاهبِ
تطيرُ رؤوس القوم تحت ظلالها ... وتنقضُّ فيها كالنجوم الثواقبِ

المنذر يسرّني تحمّسك يا جليل . ولكن لا تخلني ضعيف العزم واهي الجنان وانّي اخشى القراع والنزال . لقد ساء ظنّكَ . . . فان كنت تتمنّى اضطرام الحرب فها انا أصليها . وان كنت تبغي النزال فها انا انازلك . وان كنت ترغب في الهجوم فها انا اهاجمك . وان كنت تشتاق الى النصرة فانا لا ارضاها حتى تُبيد آل غسان عن آخرهم او تذهب بنا عن آخرنا . . . ولكن عارٌ عليَّ منازلتك وانت

فتى . فان قُضي بالامر انازلُ ابطال قومك بل لا استنكف عن منازلة كماة غسّان وملكهم :

سكتُّ قفرَّ اعدائي السكوتُ وظنُّوني لاهلي قد نسيتُ
وكيف انام عن سادات قومٍ انا في فضل نعمتهم ربيتُ
وان دارت بهم خيل الاعادي ونادوني اجبتُ متى دُعيتُ
بسيفٍ حدُّهُ موجُ المنايا ورمحٍ صدرُه الحتفُ المميتُ
خُلقتُ من الحديد اشدَّ قلباً وقد بَليَ الحديدُ وما بليتُ
ولي بيتٌ علا فلك الثريّا تخرُّ لعظم هيبته البيوتُ

جليل لا فُضَّ فوك يا منذر شهامتك هذه اخذت مني كل مأخذ . فلعمري لو دُمتَ دهرًا تردّد على مسامعي الفاظك تلك الرقيقة التي بها حاولت اقناعي على نسيان ما مضى والتعاهد بيننا لما كان لكلامك وقعٌ في قلبي كما اوقع تحنُّكك هذا . . . اما الآن وقد رايتُ جرأتك فاني اعاهدك واصافحك يا ابن المنذر . انت من اليوم اعزُّ الناس اليَّ . (يتصافحان) .

المنذر ما كنتُ لاجسر يا جليل ان اطلب ذلك منك بغمي . كان هذا العهد شوقاً محجوباً في طوايا قلبي . اما الآن وقد كشفت الحجاب عنه فبحقّ من خلق الاكوان وبرأ العالمين اني باذلٌ في سبيل القيام عليه كل ما لديَّ من القوى حتى حياتي

جليل (ينظر الى الخارج بينما يتكلّم) عما ان اني مقبل يا منذر فاتركني واياه

المشهد السابع

النعمان وابنه

جليل بشّرني الان نير ان الاسود عوّل على فكّ أسرنا فما هي حقيقة الامر يا ابتاه ؟

النعمان اجل انه نوّه امس بشيء كهذا على اني رايتُ خلافَهُ اليوم

جليل (يحزن) اذن لم يخدعني فكري فانه لم يركن الى هذه البُشرى . فياجبني مراراً وينبئني بما يقلق بالي ويثير بلبالي

النعمان ان الملك الاسود شريف النفس لكنه محاطٌ باعوان ذوي خبث وحسد

يخشى منهم شرُّ الامور

جليل فما العمل اذن يا ابي ؟

النعمان ما العمل والاسدُ في قفص ! . ما العمل وانا اعزل لا سلاح في يدي ! . . . آه يا بني كهلان لقد طلع سعدُ حظكم فكسرتم بني غسان مرةً بعد ان غلبوكم مرارًا وطعنوكم طعناً . . . (يلتفت الى ابنه) يا جليل

جليل ابتِ

النعمان لي كلامٌ خطير احبُّ ان اودعك اياهُ . . . ولكن لا ادري اتكون لهُ كفوءًا وانت فتى حديث السنّ

جليل ليعلم ابي النعمان ان دماً عربيًا يجري في عروقي جعل فيّ رزانة الشيوخ . قل مهما شئتَ يا ابتي تجدني عصاميًا

النعمان (يحضنه) لا غُضّ فوك يا ابني . فلعمري ما كذَّبتَ اصلك . . . اسمع : ان ما بيني وبين الناذرة من البغض ينبئني ان لا نجاة لي من هذه التهلكة . انهم سيوقعون بي لا محالة . اما انت فاسلَم واعلم هذا ان دم آل غسان يطلب منك ان تنتقم لهُ فدمُ آل غسان لا يُهدَر . ان تمكنت من النجاة فأخبر اعمامك واخوالك بموتي لينهضوا للاخذ بثاري . استنزهم للقتال بكل ما لديك من القوى والذرائع . وان لم تتيسَّر لك النجاة فأفرغ كنانة الجهد لتبلغهم عن بُعد حقيقة الامر . فيثيروا حرباً عواناً على ملوك الحيرة . ولكن اياك يا جليل والمكر فليس المكر من شيم العرب . كن شريف النفس عالي الهمة سامي القدر . . . هذه خصالنا وهذا هو الإرث الذي يتركهُ كل ابٍ منّا لبنيهِ . فاخرج الان يا ابني على بركة الله ودَعني وحدي (جليل يقبّل يد ابيه ويخرج)

المشهد الثامن

النعمان وحده

النعمان (ينظر من حيث خرج جليل) اذهب على الطائر الميمون وليساعدنَّك الله على ان تُقيل آل غسان من سقطتهم هذه . . . (يفتكر) وقعتُ في حوزة الأسود فاثأر لنكبات عديدة انزلها اجدادي باجداده . . . وددت لو ودَّعت

الحياة قبل ان ارى ذلك اليوم المشؤوم الطالع ... ليتني لم اتبوأ سُدة الملك وتقبض يديَّ على الصولجان . كُسر النعمان بن الحارث ثم أُسر وهذا شهر وهو في الاسر ... يتلاعب اعداؤهُ باقداره ... فما تحني الاسود البارحة بوجوب تقدمة الدية واليوم اراهُ متردّدًا في قبولها . اهكذا يعكرون بني غسان ؟ اين سطوتي ؟ اين بأسي ؟ اين سيفي ؟ واين فرسي النعامة ؟ ... لِمَ هذا الخمود يا نعمان ؟ ألا

قربًا مربـط النعـامة مني ضاق صدري على الليالي الطوالِ
قربًا مربـط النعـامة مني اخـذُ ثأري استفزّني للقتـالِ
قربًا مربـط النعـامة مني لحروبٍ لنـارهـا انا صـالِ

ولكن ما هذه الاشواق العقيمة والنكباتُ تـاورني والاسرُ موطني

جاذبيني يا نائباتِ الليالي عن يميني وتارةً عن شمالي

(يقعد على حجر ويغوص في افكاره بينما يسمع لحن حزين او عتابة من الخارج ... هنا يدخل ثعلبة متجهمًا ووجهه ملثم) (لهُ صلة)

مطبوعات شرقية جديدة

K. Kempf S. J. : I Die Heiligkeit der Kirche in 19 Jahrhündert, 7e éd., pp. XII-433, 1921 — II Die Heiligkeit der Gesellschaft Jesu, 1 vol., pp. X-373, 1922. *Einsiedeln, Benziger*

قداسة الكنيسة في القرن التاسع عشر — قداسة الرهبانية اليسوعية

معلوم انّ القداسة من سمات الكنيسة الكاثوليكيّة وخواصها الجوهريّة . وقد ظهرت هذه القداسة في زماننا كما لاحت في القرون السابقة وهذا ما اراد بيانهُ حضرة الاب كمپف اليسوعي الالماني في هذين الكتابين . ففي (الكتاب الاوّل) جمع المؤلف تراجم ١٩٤ من اولياء الله الذين عطّروا الكنيسة ومواطنهم بأريج فضائلهم السامية